

اليهودية

وكانت الآلهة تمشي على الأرض تخاطب الناس عند ما بدأ تاريخ اليهود .
وهم ينتسبون الى خليل الله ابراهيم ، وقد عبر الفرات تاركا أور الكلدان ، مهد
المدنية في ذلك العصر ، قاصداً أرض كنعان تلبية لأمر الرب

وجاء بعده اسحق ومن وراء اسحق يعقوب (اسرائيل) وإليه تنتمي
الاسباط الاثني عشر وأحد أبنائه يوسف الصديق الذي أطلقت يداه في مصر
فاستجلب اليها أهله وعشيرته وأنزلهم أرض غسان — قرب الزقازيق — فنشأت
الحفيظة عليهم في قلوب الوطنيين إلى أن بدت فرصة سانحة انتهزوها واستعبدوا
الدخلاء حتى قادهم كلهم الله موسى وخرج بهم منها بعد أن ضرب الله مصر ضربات
داميات حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م

وفي وسط صحراء سيناء كانوا يقولون أو في أرض فلسطين الجنوبية كما يرجح
علماء اليوم ، تلقى موسى من ربه الواح الوصايا العشر زبدة الطورا (التوراة)
كتاب الاسرائيليين المقدس

ومات الكليم والقوم على وشك دخول أرض الميعاد ولما ولجوها لم يلبثوا
حتى تألبوا على بعضهم البعض ثم اشتبكوا في حرب مع من حلوا بينهم من الامم
وما زالوا بين تقهقر وتقدم إلى أن استقوى عليهم طيطس الرومان وشتتهم في
أنحاء الكرة الارضية .

ولا يملك المطلع على سيرتهم نفسه من الاشفات على هذه الامة التي كان لها
الاثر الاول في تكوين فكرة التوحيد والقول بان الله واحد لا شريك له

وعلى الرغم من تشعب اليهود الى فرق لم يبق منهم حتى اليوم إلا ثلاثة أفرع
هم : الربانون والقراؤون والسامريون ، ذلك بخلاف طائفة تسكن شواطئ بحر
اليونان وتخلط معتقادات الاسرائيليين بالاعتقادات الاسلامية ، نبغ منها أفراد
كان لهم تأثير في تقدم تركيا الحالي ومنهم جاويد بك وزير المالية التركية المشهور .
وبما أنني لم أقف على ما يصح الاعتماد عليه عن جماعة بحر اليونان سأقتصر على

المقارنة بين الطوائف الثلاث الأخرى .

لا يعد الربانون والقراؤون طائفة السامرة من اليهود . وفي نفس الوقت ترمى كل من الطائفتين أختها بالخروج على الدين ولا يتزاجون من بعضهم بل كلاهما يعتقد أن أبناء عهده أكثر نجاسة من اتباع الأديان الأخرى .

السامرة (الشومريم) : وهم يقطنون مدينة نابلس من أعمال فلسطين ولا يزيد عددهم نساء ورجالا عن المائة الا قليلا ولهم مذهبهم ولهم توراتهم وليست أورشليمهم غير جبل غاريزيم القريب من موطنهم . وتوراتهم مكتوبة على جلود القرايين ويرجعون تاريخها الى أربعة وثلاثين قرناً ولكن العلماء المحدثين لا يقدرّون عمرها بأكثر من ألف عام وبين التوراة المعروفة ما يقرب من أربع مائة خلاف في حين لا تحوى لغتهم أربعة أحرف موجودة في اللغة العبرانية وهى الالف والهاء والخاء والعين . وتمقطع صلة أنبيائهم بأنبياء الطائفتين الأخرتين بعد يوشع . وصلاتهم كصلاة القرائين وهى تشبه صلاة المسامين من ركوع وسجود وهم يغتسلون ويتوضئون ويحجون ثلاث مرات كل سنة الى جبل غاريزيم . ويرجعون بنسبهم الى يوسف الصديق . ولكن الطائفتين الأخرين تبرءان منهم وتلقبهم « كوتيم » نسبة الى مدينة كوتة البابلية حيث أتوا بعد الأسر البابلي وكذلك ترميهم الطائفتان الأخرى بانكار اليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار والشواب والعقاب . ولكن المرجح ان هذا محض ادعاء

لا يهتمون بالتمود — وهم فى ذلك أقرب الى القرائين الذين يقل اهتمامهم به عن الربانيين كما سنبين ذلك بعد — ولذا أوجدوا لانفسهم أصولاً شرعية تبعد كثيراً عن شريعة الفرقتين الأخرين . ولا يصرحون لارجل بزواج ابنة أخته أو ابنة أخيه مثلهم فى ذلك كمثل القرائين . ويقال ان السبب فى اتباع هذه العادة ان أحد الملوك وعد وهو فى الحرب من يتسبب فى النصر بزواج ابنته فكان أخوه هو الذى نال هذه الخطوة

يصلون مقتبلين جبلهم المقدس لا بيت المقدس . وكذلك يقدمون ذبائحهم وهم متوجهون نحوه . أما عيد الفصح عندهم فسته أيام ولدى القرائين سبعة وعند الربانيين ثمانية أيام .

الربانون (الربائيم) يكونون السواد الأعظم من الامة وينقسمون الى قسمين

السفرديم « العرب » والاشكنازيم « الافرنج » والفروق بينهما طفيفة شكلية تبحث في الاوساط التي يعيشون فيها . فمثلا الافرنج لا يعددون زواجهم بعكس الآخرين . وهم أقل تمسكا بالتقاليد العملية مثل شروط ذبح الحيوانات واقامة الصلاة التي يؤدونها بطريقة أقرب الى الصلاة المسيحية

ويتمسك الربانون أشد التمسك بقدسية التوراة والتلمود ويعدون الاخير وحيا أنزل على موسى ولكنه لم يكن مكتوباً ويكفرون كل من لا يعمل باوامر التلمود حرفاً ومعنى وهذا هو أصل الخلاف بينهم وبين القرائين من جهة وبين السامرة من جهة أخرى ، وهم يعدون الاول ضالين . وأما الآخرون ففي نظرهم دخلاء في الدين .

القراؤون (القرائيم) لا يقدسون غير التوراة ويفسرونها معتمدين على الادلة العقلية فباب الاجتهاد أمامهم مفتوح على مصراعيه ، بعكس الربانيين القائلين بأنه أقل الى ما شاء الله . ولا يعتبر القراؤون التلمود أكثر من مجموعة آراء لمفكرين القدماء يصح الاستئناس بها عند مقتضيات الاحوال وتوجد اختلافات أخرى بين الربانيين والقرائين أهمها :

١ — أخذ الربانيين بالمليقات الشمسية بدلا من القمري المنصوص عنه كنتيجة لفتوى ظهرت على أثر خدع السامرة لهم باضاءة نار على رأس الجبل اخطأوها وحسبوها مطلع الهلال وهكذا يبررون تحوّلهم . وأما القراؤون فيحسبون على القمر ويعدون أبناء عموماتهم مخالفين

٢ — لا يتشدد الربانون في تفهم راحة السبت ولا في تفسير قانون العين بالعين والسن بالسن

٣ — الربانون أشد من الآخرين تمسكا بالطهارة من الحيض وأقل منهم تمسكا بطهاره النفاس . ويصرحون بزواج الرجل من ابنة اخيه وابنة اخته وابنة امرأة ابيه . ولكن القرائين يقولون اذا صح ذلك وجب السماح للرجل بزواج عمته وخالته فيحرمونه

٤ — يرث الرباني امرأته ويغالى في طاعة الكاهن . والطلاق سهل عليه وهو حق للرجل فقط . وأما الآخرون فلا يرثون نساءهم وهم أقل اهتماماً بالكهنة . والطلاق عندهم اصعب ، اذ له حدود ، وللمرأة عندهم حق طلب الطلاق بواسطة

- رجال الشرع في حالة ما اذا اباه الزوج عليها وذلك داخل حدود مخصوصة
- ٥ — يتم زواج الرباني بالوقاع أو بالمعقد أو بالاشهاد ويوجب دفع المهر ولكنهم لا يشترطون موافقة ولي أمر المرأة البالغ . واما القراءون فيوجبون المعقد المحرر مع المهر ورضاء الولي شرط لازم
- ٦ — الرباني قيم على مال زوجه . اما الآخرين فلزوجاتهم حرية التصرف فيما تملكن .
- ٧ — للرباني الاولية للتزوج من ارملة اخيه فاذا لم يتنازل عن حقه فيها عدت ناشزاً لا يصح لرجل آخر الاقتراب منها على العكس من القرائين
- ٨ — شهادة الانثى لا يعتد بها عند الربانيين ولكن يأخذ بها القراءون
- ٩ — غير مصرح للربانية المرتد زوجها بالزواج . وهي عند القرائين طالق منه يصح لها الانضمام الى غيره ويكتفون بمنع المرتد عن الارث

كتب اليهود المقدسة

كتاب العهد القديم كما يسميه المسيحيون والطورا كما يطلق عليه اليهود من باب التعميم ، هو كتاب اليهود المقدس كتب اغلبه بالعبرية والقليل بالآرامية (عزرا ٤/٨ الى ٦/١٨ و ١٢/٧ الى آخر ٢٦ . إرميا ١٠/١١ دنيال ٢/٤ الى ٧/٢٨) ويسند اليهود تحرير الاسفار الخمسة الاولى (الطورا الاصلية) الى موسى ولكن يدعى العلماء المحدثون ان الكتب الستة الأولى تكون وحدة ادبية لأن نسقها واحد

وينقسم كتب العهد الى أقسام أربعة

- ١ قانون — تكون على ثلاث مراحل (١) قانون العهد وهو القانون البدائي يوجد في الخروج ٢٠ و ٢٢ الى آخر ٢٣ و ٢٤ و ٣ الى ٨ . و (٢) قانون التثنية ١٢ الى ٢٦ وهو أكثر ارتباكاً من سابقه وعليه اشيد وكان توطئة للقانون الثالث (٣) قانون الكهنة اللاويين الذين ينسب اليهم وضعه ابان بناء المعبد الثاني
- ٢ تاريخ — يحوى سفر التكوين تاريخ خلق الارض والطوفان (١ — ١١) وقصص ابراهيم واسحاق ويعقوب (١٢ — ٥٠) وينسبه النقاد المعاصرون الى البابليين ويقولون ان فيه ينجلي تنارع مدرستين دينيتين تبادلتا قص القصص وكانت تتبع احداها آلهة تسميه « ياهوا » والاخرى آلهة اسمه « ايلوه » أما سفر

الخروج فيحوى قصة بنى اسرائيل بعد موت يوسف وما حدث من اقامة الخيمة في الصحراء ونزول الوصايا العشر . وفي سفر اللاويين نجد نظاما تشريعيا وضع لبنى اسرائيل يحوى ارشادات عن الذبائح والعبادات وتكريس الكهنة وينتهى بارشادات عن القداسة . وسفر العدد يحوى الساب القبائل الاسرائيلية وقصة معسكرهم في سيناء والتهيه ثم وصولهم الى ارض المآب « مؤاب » . والتثنية وهو آخر الكتب التى ينسبها اليهود الى موسى ويحوى كلماته الاخيرة وخبر وفاته ووصيته بان يخلفه يشوع . ثم كتاب يشوع وهو آخر الكتب الستة التى يدعى النقاد انها تؤلف مجموعة أدبية واحدة ويحوى قصة فتوحاته لغرب فلسطين وتقسيمه للارض على الانخاذ . ثم يليه كتاب القضاة الذى ينسبه النقاد الى الكنعانيين ويحوى أخبار ثلاثة عشر حبرا مع كلام عن غزو اليهود لارض كنعان . فكتابا صموئيل وفيهما أخبار استيطان اليهود فى ارض الميعاد وتكوينهم مملكة وتنازعهم على السيادة . ثم كتابا الملوك وفيهما تنمة أخبار النزاع الداخلى وقصة سليمان . فكتابا الايام ويحويان قصة الخليفة مرة ثانية حتى عام ٥٤٩ ق . م . فكتاب عزرا وكتاب نحميا وفيهما تنمة التاريخ حتى ٤٣٢ ق . م . وكتاب راعوث وهو حاو لنقد الاصلاحات التى حاول البعض ايجادها . ثم قصة أستير وهى صحيحة كتبت على النسق الفارسي ويلى ذلك كتب تحوى أخبار أنبياء العهد الاشورى . وهم عاموس وهوشع واشعيا وميخا وصفنيا . فأنبياء العهد الكلداني وهم ارميا وحباقوق وحزقيا . ثم العهد الفارسي وهم حجى وزكريا وملاخى . ثم نبيا عهد الأوبة وهما يوشيا ويونان .

٣ سفر — ويتكون من مزامير داود وسفر أيوب الذى يقول النقاد إن أصله عربى .

٤ حكم — ويتكون من أمثال سليمان وكتاب الجامعة وكتاب دانيال ويعدونه أحسن ما كتب فى الكتاب المقدس

ولا تمالك وأنت تقرأ هذه الكتب من الشعور بلذة وأنت تنتقل من عصر الى عصر تتصفح عقليات وتتصفح تاريخ مدنيات كانت على حالة الفطرة فارتقت الى مدنية زاهرة . وفى الكتاب ما هو فطرى وما هو مهذب ، فلا تصنع ولا رياء ولكن هى البوادر تسيطر كما هى

ونحن مدينون لمبشرى البروتستانت والكاثوليك بترجمة هذه الكتب المهمة

إلى العربية وقد وثقت من بعض اليهود ان الترجمة حقيقية يأخذون بها في صلواتهم
ويفضلون ترجمة البروتستانت

التامود ومعناه المفسر . يدعى الربانون انه تورا شفهية كتبت في القرن الثالث
المسيحي « خوفا من النسيان ومن وقوع تحريف في نصها » ويتكون التامود من
اسفار ستة تبحث في الزراعة (١١ فصل) الاعياد (١٢ فصل) النساء (٧ فصول)
الدية (١١ فصل) القرايين (١١ فصل) الطهاره (١٢ فصل) والتامود مجموع كل
يطلقون على بعضه لفظة الجومارا او الجمرا او الجيمارا ومعناه التام . ويصبح هذا
التام بدوره كلا يطلقون على بعضه المشنا او الثاني

وجمع التامود الحالى من اصلين احدهما يسمى الاورشليمى والآخر البابلي
والاول اقدم من الثانى وجدوا منه اربعة مواضيع فقط ، ثم عثروا على موضوع
القرايين بين مخطوطات مهمة فيما بعد ، ولم يعثروا حتى الآن على موضوع الطهاره
واما النسخة البابلية فقد عثروا على خمس مواضيع منها واما موضوع الزراعة
فوجدوه قريبا وبذلك تكون قد تمت .
وفي النسختين بعض الاختلافات في المشنا . واما النسخة الارشليمية
فجوماراها ناقصة .

وقد اعتمدت في كتابة هذه المقالة على دائرة المعارف البريطانية وعلى كتابي
الاستاذ مراد بك « الربانين والقرايين » و « التامود » وقراءة العهد القديم
وكتاب « الكتب المقدسة » Literature واستأنست ببعض مذكرات أخذتها
في أوقات مختلفة من مصادر عديدة أخرى

عمر عنايت